مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف المرسلين، وسيد الخلق أجمعين، محمد عبد الله ورسوله الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن نقطة البداية في مسيرة الإصلاح الإسلامي الحاضر إنما تتمثل في التعريف بعقيدة التوحيد الخالصة من المبتدعات، وإن المنطلق الصحيح للصحوة الإيمانية المعاصرة لابد أن ينبعث من هذه الحقيقة، ليربى الجيل الجديد المقدام من شباب الإسلام وفق المعالم الأصيلة لهذه العقيدة، وليستدرك على العامة من الناس ما قد يكون علق بموازينهم من الاختلاطات والأوهام والشوائب.

ورجال التربية الإسلامية يدركون بوضوح هذا البعد المهم الرئيسي في الخطة الإصلاحية، وهم يشعرون أن واجبهم المبادرة إلى المساهمة في هذه العملية التربوية التي تعطي للصحوة معناها الإيماني، وتمنحها قوتها التي يكون بها نفاذها، وتضمن لها استمرارها الذي يرفعها عن الهبوط إلى مستوى الفورات الهامشية الطارئة.

واختيار مثل هذا الكتاب القيم النفيس إنما هو مظهر لهذا الإدراك الواعي، فإن علماء الأمة وثقات الفقهاء يجمعون على أن عقيدة الإمام الطحاوي رحمه الله عقيدة سليمة صحيحة تلتزم الفهم السلفي السني القديم الأول، البريء من التأويل والتمثيل والتعطيل، ويكادون يجمعون كذلك على أن هذا الشرح الذي دوَّنه القاضي ابن أبي العز الأذرعي قد أصاب فهم مراد الإمام الطحاوي، وفيه حرص تام على القرب من نصوص القرآن والحديث، مع تغليب قول جمهور الفقهاء في مسائل الخلاف، بعيدًا عن الشذوذ والتكلف.

openkandil.com

وقد طبع الشرح للمرة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ بمكة المكرمة، وعني بتصحيحه والإشراف على طبعه لجنة من المشايخ والعلماء، برياسة العلامة الكبير الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم أعيد طبع هذا الشرح في مصر بعناية الشيخ المحدث العلامة أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، وأعيد طبعه ثالثة بعناية جماعة من العلماء – حفظهم الله – وكلهم قد اجتهدوا في ضبطه وزاد خيرًا، ولكن اعتمادنا كان على طبعة الشيخ أحمد محمد شاكر ومقدماتها.

والطحاوي صاحب هذه العقيدة هو إمام، محدث، فقيه، ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين بمصر، وتلقى العلم على خاله إسماعيل بن يحيى المزني أفقه أصحاب الشافعي، ولكنه أصبح بعد ذلك من أتباع مذهب أبي حنيفة وترك خاله، دون أن يمنعه ذلك من مخالفة بعض أقوال أبي حنيفة وترجيح ما ذهب إليه غيره.

وقد تخرج الطحاوي بكثير من الشيوخ، حتى أربى عددهم على ثلاثمائة شيخ، وأثنى عليه غير واحد من أهل العلم.

قال ابن يونس: كان الطحاوي ثقة، ثبتًا، فقيهًا، عاقلًا، لم يخلف مثله.

وهذه الشهادة كافية وحدها، فإن أقوال ابن يونس في المصريين هي أوثق الأقوال.

وقال الذهبي في تاريخه الكبير: الفقيه، المحدث، الحافظ، أحد الأعلام، وكان ثقة، ثبتًا، فقيهًا، عاقلًا.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: هو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة.

وأما تصانيفه رَحِمَهُ اللَّهُ فهي غاية في التحقيق والجمع وكثيرة الفوائد وحسنة العرض.

فمن مصنفاته: «العقيدة الطحاوية»، وهي التي نقدمها مع منتخبات من شرحها، وهي على صغر حجمها غزيرة النفع، سلفية المنهج، من غير حيدة عنه،

ولا تمحل.

ومنها: كتاب «معاني الآثار» ويعرض فيه الأبحاث الفقهية مقرونة بدليلها، ويذكر في غضون بحثه المسائل الخلافية، ويسرد أدلتها ويناقشها، ثم يرجح ما استبان له الصواب منها، وهذا الكتاب يدرب طالب العلم على التفقه، ويربي فيه ملكة الاستنباط، ويكون له شخصية مستقلة.

ومنها: كتاب «مشكل الآثار»، وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع، يسوق الأحاديث التي تبدو لأول وهلة أنها متعارضة، ثم يأخذ في دفع ذلك التعارض بطريقة فذة.

ومنها: مختصر في الفقه على فروع الحنفية.

وكل هذه الكتب مطبوعة مشهورة، وله تصانيف أخرى.

وقد توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

وأما الشارح فهو العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العزّ الأذرعي الحنفي، قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، ولد سنة ٧٣١ هـ، ومات سنة ٧٩٢هـ، وهو من تلامذة الحافظ ابن كثير، وله ترجمة في الجزء الثالث من كتاب «الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني، والذي لاحظناه ولفت انتباهنا في هذا الشرح: كثرة اعتماد ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ على كلام الإمام ابن قيم الجوزية، دون أن يشير صراحة إلى ذلك، حتى إنه لينقل منه صفحات أحيانًا، مما يُنبي عن طبيعة شخصيته المتحررة من التقليد، المنتسبة إلى النهضة الإصلاحية التي قادها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولكنا رأينا أن من تمام إتقان دورنا في ترويج هذا الشرح الرائع البديع للعقيدة الطحاوية، أن نقوم بتهذيبه، وتنقيحه، واختصار بعض فصوله؛ ليكون أكثر تناسبًا

مع الحاجة التربوية، وأيسر فهمًا، وأليق للتدريس المنهجي في المعاهد الشرعية، والمدارس، وحلقات المساجد، ومنتديات شباب الدعوة الإسلامية، فكان حذف كثير من حوار الشارح مع أصحاب البدع المضمحلة التي تكاد أن تنقرض، من المعتزلة وأمثالهم، مع التخلص من بعض التكرار أو الإطناب، والاكتفاء بشواهد قليلة توضح المقصود إذا أكثر الشارح من إيراد الشواهد، وأما نص كلام الإمام الطحاوي فقد تم إيراده كاملًا دونما نقص حرف واحد.

وقد جاء التعويض عن المحذوف في صورة من تجويد الطباعة، وتمييز الحروف، وبذل جهد يمنع الأخطاء والتحريف، فكان أصل متن الطحاوي بحرف أسود مميز، وكان كلام الشارح بحرف أبيض، مما أتاح مقدارًا من الوضوح، وإبرازًا للمعاني، وشدًّا لانتباه القارئ يقل نظيره.

والله سبحانه وتعالى هو المعين، وبنعمته وفضله تتم الصالحات.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com